



الفنّ ملاذًا: عن التجربة الفنية التشكيلية عند الفنان الفلسطيني فؤاد إغبارية

من ذكريات المكان، إلى الذاكرة التفصيلية البصرية للفنان الواعي بقضايا مجتمعه وصراعاته مع الواقع اليومي، يُدع التشكيلي الفلسطيني فؤاد إغبارية، ويوثّق في فنّه خرائط المكان الفلسطيني وحدوده في تجربته الفنية، ومعه كان هذا الحوار.

حوار كتبها زياد حمود سبتمبر 30، 2022

ولد فؤاد إغبارية في قرية مصمص عام 1981. حصل على اللقب الأول من أكاديمية بتسليل بالقدس عام 2004 وعلى اللقب الثاني من جامعة حيفا عام 2014 ويعتبر من فناني الجيل الذين يعيدون باستمرار تعريف معنى أن تكون فلسطينيًا. يخلق إغبارية عالمًا من الألوان والتفاصيل داخل عمله ويأخذنا إلى عالم الذاكرة، إلى الفضاء الداخلي للواقع الفلسطيني ودوائره الحميمة وينتج التناغم بين عناصر هذا الواقع، ويجعله حادًا وواسعًا ومتنوعًا، وبالتالي فهو يدقّ وتدًا في أرضية هويته البسيطة المعقدة.

زياد حمود: الذاكرة والمكان فنان يغلفان دائرة العمل الفني وأشكال التعبير عنهما من خلاله. حدّثني عن لحظة انفجار الوعي بهما في مستوى الواقع وتسليهما إلى مستوى العمل الفني عندك؟

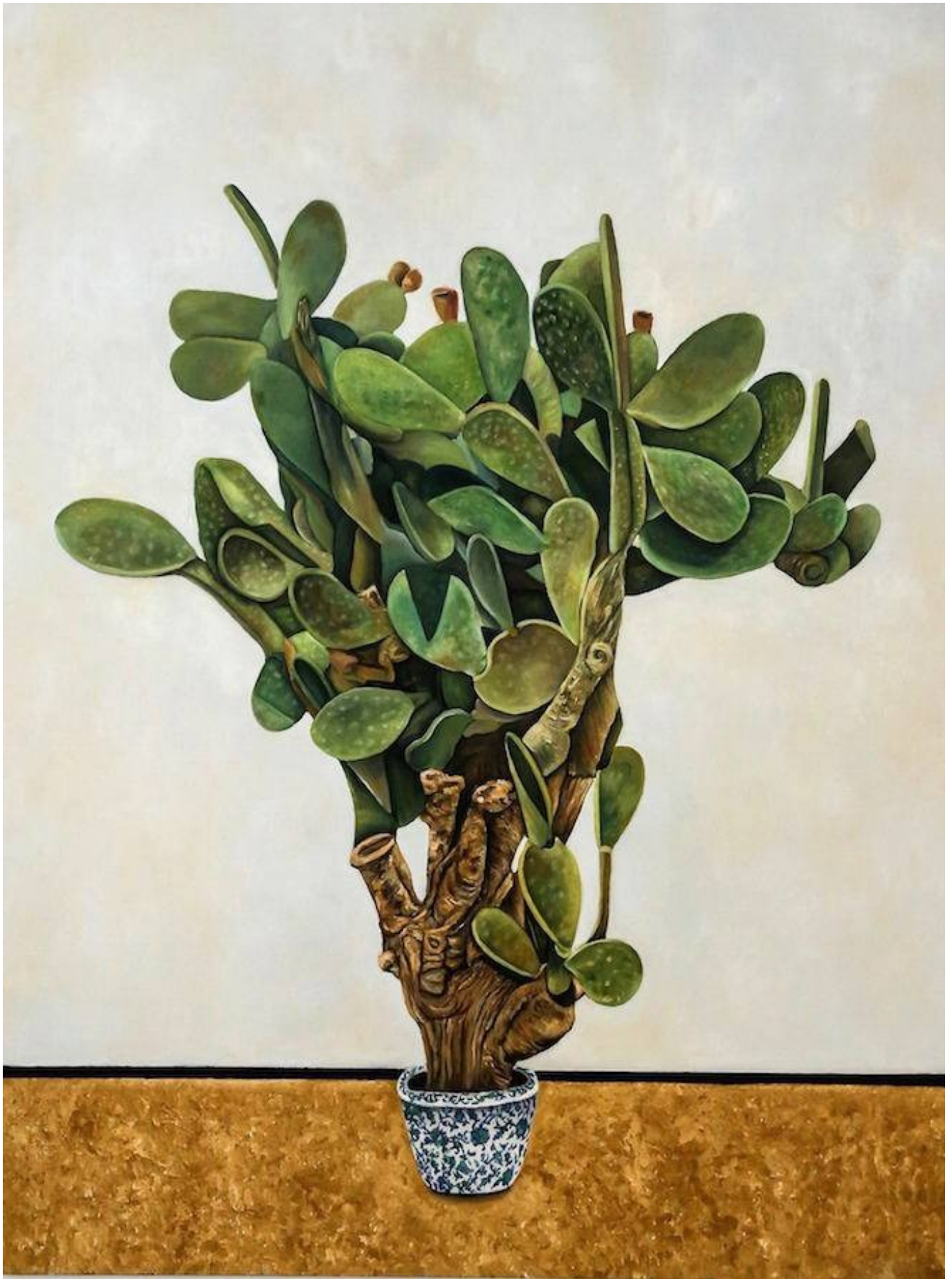
فؤاد إغبارية: ينصبّ تركيز قسم من مُنتجَي الفنيّ على توثيق ذاكرة المكان. وحين أذكر المكان أخصّ قرية مصمص التي وُلدت وترعرعت فيها، ومنها استمددتُ إلهامي: من عالم الطفولة بين أسوجة الصّبار، والبيت القديم، وعيق الزعتر، وحقول الكُرسنة، وذكرياتٍ خاطفة لجدي وجدتي، وقطعان الأبقار والأغنام في مواسم الحصاد، وكروم الزيتون.

بقايا من صبر اللون 2010-2012 ألوان زيتية على قماش 120-160 jpg



[1] بقايا من صبر اللجون، 2010-2012، ألوان زيتية على قماش، 120X160، بلطف الفنان

[صورة ذاتية 2016 ألوان زيتية على قماش 120-160.jpg \[2\]](#)



[3]صورة ذاتية، 2016، ألوان زيتية على قماش، 120X160، بلطف الفنان



وُلدتُ لعائلة متواضعة في قرية مصمص، في عام 1981. ربّاني أبٌ يعمل مُدرّسًا للغة العبرية، وأمٌ تعمل كربة منزل وتتحلّى بثقافة لافتة. وبين الشدّة واللين تراوحت تربيتهما لي. أمّا فرادة عائلتي فتكمن في الوشائج الإنسانية المتينة التي تخلّقت بين أفرادها، وكانت هذه الخاصيّة السبب في الإغداق عليّ بالحنو والسّخاء عند العطاء، الأمر الذي وُلّد داخلِي حنينًا وشغفًا دائمين للقاءات العائلية. هذه اللّماّت التي تميّزت بعبق الحكايات التي قصّها على مسامعي كلُّ من جدّي وجدّتي في ليالي الشتاء الباردة، فغمرتني بالدّفء وأيقظت داخلِي الحنين.

تبعًا لهذه الحالة-اللين والشدّة بذات الوقت- توطنّت في شخصيتي عدة عوالم -الشاب الملتزم بحدود واضحة تجاه الحياة التعليمية -والمثابرة في الدراسة، والشخصية متلاشية الحدود -الجريئة والباحثة .

كان لقائي مع المحيط القريب جغرافيا وثيق ومتراصّ -الأرض والمكان- جبال الروحة واللجون والتي رصدت خطوات قدميّ بعثرتها وثباتها - من الحياة الريفية استمدّت معظمُ أعمالي إلهامها، مُوثّقة حبّا جمعي بمكان حوّطني. ولوحة تصوّر منظرًا بانوراميًا كفيلاً باصطحابنا إلى جبال ووهاد تقتطّع استرسالها الشوارع أو الوديان. إنّه الرسم الانطباعي الذي أقتنصه من وحي خيالي، بعد أن حُفر في الذاكرة. هذا المنظر الشموليّ الذي يحمل بين جنباته روح جبال الروحة أو ووهاد اللجون أو حتى تلك الحقول النائية التي رُحّت أجول يومًا بين منحنياتها وانعطافاتها طفلًا فضوليًا وشابًا مُغامرًا.

في طفولتي اعتدْتُ التسكّع بمفردي، وأحيانًا رافقتُ أهلي، وفي الحالتين كنتُ متيقّظًا لهمسّات الطبيعة وهمهمات الكون، تلك التي تنفّلت تارةً من هنا، وتارةً من هناك. لا أخفيكم أنني ارتعدتُ لمُراتٍ من خوفي تملّكني، ولكنّ قوّةً داخليةً استحوذت عليّ ودفعنتني إلى المواصلة والاستمرار. هبّت النسيم الخفيفة على حيطان بيتي في اللجون، والخروجات الصباحية لقطف ما طاب من الثمار، وقطرات الندى الناعمة، والأشواك التي لم تترك مكانًا في جسدي إلّا ووخزته، والتوت البري، وعرائش العنب، والتين، والرمان، والصّبار، كلها أجزاء شكّلت معًا صورةً تكامليةً من واقع المكان الذي كان، وأيقظت داخلِي تساؤلاتٍ عديدة حول صيرورته بعد سيرورته.

الخطوط والألوان التي توشّحت بها الجبال والوديان في الماضي رسخت في الذاكرة وتجذّرت، ودفعنتني إلى رسم بورتريه شخصي مُشيع بالألوان ذاتها. في هذا البورتريه رسالةٌ مُبطّنة تشي بالمبالغة في الدمج بين الإنسان والمكان كوحدةٍ واحدةٍ غير قابلةٍ للتجزئة. للوهلة الأولى، يبدو البورتريه لقيطًا غير ذي صلةٍ ببقية الأعمال المعروضة، ولكنّ رسم البورتريهات لا يتوقف عند السطح ولا يكتفي بمدلولٍ خارجيٍّ أحاديٍّ المعنى، وإنما يتعدّاه موعلاً في عمق الإحياءات والإحالات وتعدّد الإسقاطات والدلالات ممّا يتطلّب استقراءً للعمل لا مجرد قراءة.

ز.ح: كيف استشرفتَ طريقَ الفنّ منذ الطفولة، من أين بدأت لحظة الانطلاق الكبرى، وكيف صُقلَ وعيكُ بالصّلة العميقة ما بين عملك كمبدع وبين شقّ طريق لهويّتك وصراعاتها عبر وسيط الفنّ؟

ف.إ: إنّ اللغة البصريّة التي أعبّر فيها عن ذاتي المرهونة بالذاكرة هي في الواقع لغّة أكتب بواسطتها - وعلى طريقتي- مُذكراتي، لينتصب البورتريه الذاتي مشبوحًا على حائط الحاضر كشاهدٍ على زمن مضى.

بداية الموهبة وانكشافي على عالم الرسم كانت وليدة انكشاف على رسمة متكررة كان والدي يرسمها لي وإخوتي عبارة عن طير حمام يحمل غصن زيتون -رسمة تكررت بإتقان حتى باتت طقس من طقوس جلساتنا مع والدي والمحيط العائلي.

بدأت بمحاولة تقليد أثمرت مجموعة كبيرة من الرسومات جعلتني مصدر فخر للعائلة والأصدقاء وبت طفلًا مطلوبًا للحضور مع كل زيارة لأصدقاء الاهل لكي اكشف لهم عن رسوماتي. هذه الحالة دفعنتني بقوة لأن أنتج. وتلقيت الدّعم الماديّ والمعنويّ من الأهل بتزويدي بكل ما أحتاج لتحقيق موهبتي على أكمل وجه

تطورت موهبتي وانكشفت على عالم الفن بعدما بدأت بالتعلم في مرسوم الفنان فريد أبو شقرة والذي امدني بالدعم التقني والفكري -بدأت بزيارة صالات العرض والمتاحف بعمر صغير وبانت معالم عالم الفن في أفقي بشكل واضح.

اتخاذ القرار بدراسة الفنون اكاديميا حمل في طياته الكثير من التخيّل -والصراع تحقيق حلم ام تحقيق واقع -المجتمع ورؤيته لعالم الفن بشكل مهمش والخوف من المستقبل الاقتصادي الغير مضمون -

عندما التحقت بأكاديمية بتسلييل للفنون كانت شخصيتي السياسية غير ناضجة بما فيه الكفاية-لم تتح لي الفرصة من قبل لمواجهة هذا العالم بشكل مباشر، كان الصراع الفلسطيني والإسرائيلي متأججا ولكن العولمة كانت سطحية -كنت ادري ولا ادري بذات الوقت -مقتطفات تحوم في ميادين الاخبار المقتضبة في التلفاز والراديو .

أن تنعق من بيئتك الحاضنة المليئة بالذكريات وتنقل للمعيشة بجيل 18 عاما في مدينة القدس المليئة بالواقع لم يكن سهلا وتحمرت تلك السنوات مواقف كثيرة حددت في شخصيتي الذاتية الكثير وعصفت في شخصيتي الفنية والتي باتت تخرط في كياني عوالم جديدة فبت ابحت بين تلك العوالم -الشخصي -الاجتماعي والسياسي تبعًا لهذا اللقاء المباشر مع الطرف الآخر للصراع.

أثناء فترة دراستي في أكاديمية بتسلييل، تناولتُ أعمالي بأسلوب التفكيك وإعادة التركيب، مُتخذًا من قاعدة "التوسيح والتنظيف" منهجًا، فقد جرت عادتي في طفولتي على تفكيك الألعاب وتركيبها من جديد. أردتُ أن أمحو السّجّ والسّخام عن



الوجوه القبيحة، وأكشفت بطريقة جدلية - دياكتيكية المفارقة والقطيعة بين القبح والجمال، وبين الأسود الفاحم والأبيض الناصع. في تلك الفترة، كانت لي بعض الاجتهادات في إحياء فن الأنماط الزخرفية وإعادة قولبتها، من خلال الرسم بالفحم والرصاص والطباعة الحجرية (ليتوغرافي). حاولت أن أدخل الرموز الثقافية الموروثة في مُعترك المدارس والمذاهب الفنية البعيدة عني وجدانيًا، وأن أصف ثائية القبح والجمال، وأقترح حلولًا للتضاد القائم بينهما.

[بقاء-2018 ألوان زيتية على قماش 240-170.jpg \[4\]](#)



[5] بقاء، 2018، ألوان زيتية على قماش، 170x240، بلطف الفنان

ز.ح: لكّنتك عدتَ إلى حياة أخرى، هبطت من العالم النظري إلى العالم الواقعي. كيف تَمّت عمليّة الحفر في الواقع من قلب المكان ورموزه، وأين ذهبت في مقولتك التشكيلية بهذه المعطيات؟

ف.إ: بعد تخرّجي اخترتُ الرجوع إلى السكن في أم الفحم، وكسب لقمة عيشي كمعلّم سواقعة. خلق هذا الاختيار عندي حياثين متوازئين: الحياة "الحقيقية"، والحياة الفنية. مثلت هذه الفترة بالنسبة لي فجوة بين الروتين اليوميّ الباهت وبين حياتي المتوهّجة كمُبدع، ولذلك حاولت التشبّث بمنايع الإلهام كي لا أحيّد عن الفن، ولمعت في ذهني فكرة اقتياد فرقةٍ من الكشّافة إلى ماضي الشخصي، وإلى تلك المشاهد والمناظر التي زحرت بها طفولتي في قرية مصمص، على أعيد اختبار تخوم المكان وملاحه ولكن كإنسان ناصح هذه المرأة، مُتَزِن ومُكدّس بتراكمات الوعي الاجتماعي والسياسي، بعيدًا عن سذاجة الطفولة. وهنا اكتشفتُ رمزية الصّبار؛ إنه رمز البقاء! حتى في المطارح التي خلت من أهلها وفي القرى المهجّرة ظلّ الصّبار صامدًا كمعلّم راسخ في المشهد، ليشهد على وجود من كانوا، ويقف بقامته الشائكة كناطور لا يغمض له جفن.



[نسيج وشقوق 2018 120-140 ألوان زيتية على قماش.jpg \[6\]](#)



[7] نسيج وشقوق، 2018، ألوان زيتية على قماش، 120X140، بلطف الفنان



ز.ح: تأخذ نبتة الصّبار منحى دلاليًا في مجمل الفن التشكيلي الفلسطيني؟ كيف ترسمُ علاقتك معها على المستوى السياسي والهوياتي المحلي؟

ف.إ: يظهر الصّبار في أكبر وأضخم أعماله مُزدانًا بتطريز فاقعة ألوانه يبعثُ على الأمل والتفاؤل، ويتجلى - بطرق شتى - تمجيد طبيعته الدورية وغير القابلة للاندثار. رسمته حائطًا أو جداريةً شائكة، ولكنني لم أنسَ إيقاله بالثمار التي تنضوي على ذاكرة حلوة المذاق. عندي، في بعض الأحيان يُمثل الصّبار عالمًا يكاد يكتمل، بوافر أوراقه وثماره، وفي أحيان أخرى يبدو أقلّ حياةً وأشدّ تشظيًّا، ليُمثل الخراب. ولكن خرابه مؤقت وزائل لا محالة، فمن وسط تشظيه يقوم الصّبار لينمو من جديد ولو سُحّ رأسه، فيورق ويؤتي ثماره الحلوة ثانيةً وكانّ خرابًا لم يكن، كطائر الرّخّ يقوم من بين الركام ومن تحت الرماد.

في مرحلةٍ متقدّمةٍ من العمل الفني تناولتُ الصّبار من منظور آخر؛ منظور التفسيخ، كدلالةٍ على تفسّخ المجتمع العربي الفلسطيني الذي أنتمي إليه. أخذتُ أملاً المساحة البيضاء بنموذجٍ من أوراق الصّبار الخربة، مضمونها اللوني هو مسحات من الأصفر وخطوطٍ من البني، وفي هذا دلالة لونية على انعدام وجود كتلةٍ متماسكة يمكن القبض عليها. في أعمالٍ أخرى يحطى ذلك المنظر الذي يراودني منذ الطفولة بتسطيح جرافيكى زخرفي فاقداً لتدويره، تعبيراً عن الألم والتفجّع على المكان الذي نال منه الحطاب، حين تبدّى على هيئة جرّافات تقضي عليه وتدوسه. في صميم هذا التسطيح نقدٌ واحتجاج على سياسة الدولة التي لا تُتيح إمكانية العيش في المشهد المحفور في ذاكرتي منذ الطفولة وتعميره، ليفقد - عطفًا على فجاجة السياسة - ماهيته.

في أعماله الأخيرة تظهر معانتي العميقة النابعة من أزمة المكان والهوية في إسرائيل، حيث يُنحّي التأمل النقدي بقية الألوان التي تُختزل حتى تقتصر على تدرّجات الأصفر والبني، ويعتري الشخصيات التي أتناولها تجريدٌ كبير. في عملي "حاجز" (محمّد) أصفُ جندبًا يُصوّب بندقيّةً إلى رجل فلسطيني، ويأمره بخلع ملابسه. هذه اللوحة ليست إلا شهادةً على تجربةٍ شخصية عايشتها حين درستُ في أكاديمية بنسلييل وسكنتُ في ضواحي القدس، حيث اضطُرتت يوميًا إلى عبور الحواجز الأمنية.

[نسيج وشقوق 2018 ألوان زيتية على قماش 100-140 jpg.\(2\) \[8\]](#)



[9] نسيج وشقوق، 2018، ألوان زيتية على قماش، 100x140، بلطف الفنان



زج: في أعمالك الأخيرة، تركنُ إلى ديناميكيات من نوع آخر في التعبير الفني، اللون وأشكال التعامل معه هو أحد أهمّها.

ف.إ: في السنوات الأخيرة باتت أعمالي تعكس البحث في تلك النقلا والمسابر بين التقنيات الأسلوبية والمنطلقات الفكرية، فأنا أتحرّك بين كلا العالمين الفكريّ المحسوس والتقنيّ الملموس، مُحاولًا إيجاد تعبير تجريبي داخل اللون نفسه أو حتى ما وراءه. تتميز هذه الأعمال بمسحات حرّة للفرشاة وبخطوط أفقية وأخرى عامودية محفورة بالسكين، وكان فيها لحمة الغزل. أمّا تدرّجات اللونين الرمادي والأسود فتُضفي عنصر الحركة والديناميكية على اللوحة، ليضجّ الأصفر ويُشعّ طاعيًا على بقية التدرّجات، دون أن يفقدها اتساقها أو يمسّ بانسجامها. تُكسبُ تقنية "الحفر في اللون" الرسم المسطح شيئًا من العظمة والحدة، حتّى يُخيّل للمشاهد الذي يُمعن النظر عن كتب أنني استخدمتُ الخيط والإبرة، إذ تبدو الخطوط المحفورة كنسيج من القماش. تُثير هذه التقنية في الحفر ذكرى ارتسمت في مخيلتي منذ عهد الطفولة لرجل يصنع مكانس القش مُستخدمًا الخيط والإبرة. فأنا لا أزال أذكر كم انتظرتُ بلهفة "صانع مكانس القش"، الذي كان يُعرّج بقرينتنا بانتظام في مواسم الحصاد. بفارغ الصبر ترقّبتُ تلك اللحظة التي أجلس فيها إلى جواره كي تتسنى لي مشاهدته أثناء صنعه للمكانس بحسّ إبداعيّ وخفّة في الأصابع.

الحفر في اللون هو عمليّة مضاعفة، تكشف وجه المساحة وتخفيه في آن. في أعمالي الجديدة أجنّح إلى التعبير عن مواطن وأبعاد المُعاناة التي أعيشها، بما في ذلك البُعد الجمعيّ، مع نقديّ ذاتي قدر الإمكان، كي يكون اشتغالي الفني وثيق الصلة بمجمعي وقضاياها بمُجمل حملتها.

Source URL: <http://tohumagazine.server288.com/ar/article/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%D9%91-%D9%85%D9%84%D8%A7%D8%B0%D9%8B%D8%A7-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AC%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%8A%D9%84%D9%8A%D9%91%D8%A9-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%91-%D9%81%D8%A4%D8%A7%D8%AF-%D8%A5%D8%BA%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9>

Links

- [1] <https://tohumagazine.com/sites/default/files/%D8%A8%D9%82%D8%A7%D9%8A%D8%A7%20%D9%85%D9%86%20%D8%B5%D8%A8%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%86%202010-2012%20%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86%20%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D8%A9%20%D8%B9%D9%84%D9%89%20%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B4%20120-160.jpg>
- [2] <http://tohumagazine.server288.com/ar/file/%D8%B5%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%B0%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%A9-2016-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86-%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B4-120-160.jpg>
- [3] <https://tohumagazine.com/sites/default/files/%D8%B5%D9%88%D8%B1%D8%A9%20%D8%B0%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%A9%202016%20%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86%20%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D8%A9%20%D8%B9%D9%84%D9%89%20%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B4%20120-160.jpg>
- [4] <http://tohumagazine.server288.com/ar/file/%D8%A8%D9%82%D8%A7%D8%A1-2018-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86-%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B4-170-240.jpg>
- [5] <https://tohumagazine.com/sites/default/files/%D8%A8%D9%82%D8%A7%D8%A1-2018%20%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86%20%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D8%A9%20%D8%B9%D9%84%D9%89%20%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B4%20170-240.jpg>
- [6] <http://tohumagazine.server288.com/ar/file/%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%AC-%D9%88%D8%B4%D9%82%D9%88%D9%82-2018-120-140-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86-%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B4>



4jpg

[7] <https://tohumagazine.com/sites/default/files/%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%AC%20%D9%88%D8%B4%D9%82%D9%88%D9%82%202018%20120-140%20%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86%20%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D8%A9%20%D8%B9%D9%84%D9%89%20%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B4.jpg>

[8] <http://tohumagazine.server288.com/ar/file/%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%AC-%D9%88%D8%B4%D9%82%D9%88%D9%82-2018-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86-%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B4-140-100-2.jpg>

[9] <https://tohumagazine.com/sites/default/files/%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%AC%20%D9%88%D8%B4%D9%82%D9%88%D9%82%202018%20%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86%20%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D8%A9%20%D8%B9%D9%84%D9%89%20%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B4%20140-100%20%282%29.jpg>